# التعددية اللسانية
# من خلال الأبحاث اللسانية الاجتماعية
# الحديثة

**محمد يحياتن**
**جامعة تيزي وزو**

**الملخص**

الغرض من هذا المقال الإبانـة عـن التوجهـات اللسـانية الاجتماعية المعاصرة في تناولها لظاهرة التعددية اللغوية لاسيما بعد نقدها وتمحيصها لمفهومي الثنائية والازدواجية اللغـويتين.

**الكلمات المفاتيح**

الازدواجية اللغوية – الثنائية اللغوية– التعددية اللغوية– التعاقب اللغوي– المزج اللغوي.

## Résumé

Le présent article se propose de rendre compte, des orientations sociolinguistiques récentes dans l'étude du plurilinguisme et ce, après la remise en cause des notions de diglossie et de bilinguisme entre autres.

**Mots clés**

Bilinguisme - diglossie – plurilinguisme - code-switching - code-mixing.

## Abstract

This paper aims to shed light on the modern sociolinguistic tendencies broaching multilingualism phenomenon, notably after throwing some notions back into question such as diglossian and bilingualism.

**Keywords**

Bilingualism – diglossic – multilingualisim - code switching - code-mixing.

إن الذي نسعى إليه من خلال مقالنا هذا هو التعريف بالمقاربات الحديثة في صلب ما يعرف بـــ"علم الاجتماع اللغوي"[1] أو علم اللغة الاجتماعي أو اللسانيات الاجتماعية الذي يعنى بوصف تجليات اللغة في الوسط الاجتماعي كما تتبدى في الممارسات اللغوية للناطقين، لاسيما في الأوضاع التي تتسم بتعايش أكثر من لغة وما تترتب عنها من صراعات واضطرابات كما تدل على ذلك المشاهدة الميدانية في الأمصار والبلدان المختلفة.

## 1. اللسانيات واللسانيات الاجتماعية

إن هذا الذي قدمناه يدفعنا إلى الوقوف على نشأة اللسانيّات الاجتماعية (Sociolinguistique)[2] وموضوع دراستها. ولكي يتسنى لنا ذلك يحسن بنا أن نقارن بين موضوعها وموضوع اللسانيّات العامة.

### 1.1. اللسانيات العامة

إن موضوع اللسانيات العامة ــ كما يتبدى ذلك من خلال محاضرات دي سوسير المشهورة ــ إنما هو دراسة اللسان البشرى في ذاته ولذاته، ومعنى هذا أن اللساني يعنى باستقصاء البنى الصوتية والصرفية والتركيبية للسان دونما احتفال بتجليات اللسان الفعلية من خلال السلوكيات اللغوية التي يسلكها الناطقون بهذه اللغة أو تلك في مختلف المقامات والأحوال الخطابية الكثيرة سواء في المشافهة أو في الكتابة. ومرد ذلك أن سوسير ومن سار على هديه انتصر إلى اللسان دون الكلام(parole). وهذا رغم أن سوسير يقرّ في الوقت عينه بأن اللسان مؤسسة اجتماعية. وصفوة القول إن اللسانيات العامة والمدارس البنيوية المختلفة تتناول الألسنة بوصفها بنيات مجردة.

وهذه المفارقة إن صحّ القول ــ أي الإقرار بأن اللسان مؤسسة اجتماعية من جهة، والنظر إليه بمعزل عن تجلياته الحقيقة في صلب المجتمع من جهة أخرى قد أدت إلى معارضة هذا التصورومن ثمّ إلى انبثاق ما يعرف باللسانيات الاجتماعية. وقد قال وليام لابوف (W.LABOV) بأن اللسانيات الاجتماعية إنما هي كل اللسانيات[3].

أما موضوعها، فيمكن القول بأنه يتمثل في دراسة اللسان في صلاته بالمجتمع.وإذا أردنا توضيحا لهذا قلنا مقتفين آثار ج. فيشمان (J.FISHMAN) بأن اللسانيات الاجتماعية تسعى في

---

[1] من دلائل هذا الضعف والتقصير عدم الاهتمام بترجمة الكتب والدراسات الهامة التي تمت إلى التخصصات اللسانية بصلة.

[2] يسميه البعض بعلم الاجتماع اللغوي. يقول هدسون في هذا الباب: " والاختلاف بين علم اللغة الاجتماعي وعلم اجتماع اللغة ليس اختلافا في العناصر وإنما في محور الاهتمام، ويستند ذلك إلى الأهمية التي يوليها الدارس للغة أم المجتمع وإلى مهارته في تحليل البنية اللغوية أو الاجتماعية. وهناك قدر كبير من التطابق بين هذين العلمين وقد يكون من غير المجدي أن نحاول الفصل بينهما بطريقة أكثر وضوحا مما هي عليه الآن..."، أنظر ر. هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة د. محمد عبد الغني عياد، ط1؛ بغداد، 1987، ص 22.

[3] أنظر كتابه:
W.Labov, Sociolinguistique, trad. Française, Paris: Ed. de Minuit,1976.

دراستها: "إلى تحديد من يتكلم وبأي تنوع لغوي(variété linguistique)[4] ؟ وبصدد أي موضوع ؟ ومتى ومع من؟" [5]. وقد عبر.ب ماريليزي عن ذلك بقوله: "اللسانيات الاجتماعية تحاول حصر الثوابت التي بموجبها تؤثر العوامل الاجتماعية على استخدام الناس للغة التي يتكلمون بها، لذا فمن أهدافها دراسة العلاقات القائمة بين تقسيم المجتمع إلى فئات أو طبقات من جهة والتنوعات اللغوية واستعمالاتها من جهة أخرى"[6].

ومن جهة أخرى، تعنى اللسانيات الاجتماعية بمواقف المتكلمين من اللغة أو اللغات التي يستخدمونها وتقويماتهم لها من حيث معرفة مدى استحسانهم أو استهجانهم لها وكذا من حيث معرفة القيم الرمزية التي يخولونها لها. ودراسة هذه المواقف على جانب كبير من الأهمية لأنها كثيرا ما تؤثر على السلوكات اللغوية، فاللغة ليست أداة للتواصل والتخاطب فحسب كما توهم بذلك في الغالب التحديدات التي تقدم عن اللغة، والتي قد توهم بأن العلاقات بين المتكلم واللغة علاقة محايدة.

هذا وتعنى اللسانيات الاجتماعية بما يعرف بـــ "التخطيط اللغوي أو التهيئة اللغوية (planification ou aménagement linguistique) وكذا "السياسة اللغوية (politique linguistique) وغاية هذا المجال البحث عن الحلول الناجعة للمشاكل التي تتعرض لها البلدان لاسيما تلك التي تتميز وتتسم بالتعددية اللسانية (plurilinguisme)[7].

أما من حيث المناهج التي يتوخاها اللساني الاجتماعي (Le sociolinguiste) ــ ولما كان التوجه سوسيولسانيا ــ فلا بد من أن ينزل إلى الميدان ليقف على الاستعمالات والسلوكات اللغوية الفعلية كي يتسنى له معاهدتها و ذلك كأن يقوم بتسجيل الكلام الذي يتفوه به الناطقون بشكل عفوي وقد يحصل ذلك على غفلة من المخبرين (Les lecteurs) . وهذه الطريقة ــ أي التسجيل ــ رغم المشاكل الأخلاقية (problèmes d'éthique) ــ تعدّ أفضل الطرق لأنها تفضى إلى نتائج موضوعية تعكس الاستعمالات اللغوية الفعلية في المجتمع[8].

وهذه الطريقة تسعى من جملة ما تسعى إليه: إلى تسليط الضوء على جميع التنوعات اللغوية التي هي في متناول الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة لغوية واحدة وذلك من خلال:

ــ تنويع المقامات أو أحوال الخطاب (situation de discours).

ــ تنويع الموردين أو المخبرين أنفسهم ( السن، الجنس، أميّون، مثقفون الخ...).

---

[4] يطلق مصطلح التنوع اللغوي على مجموع اللغات التي يستعملها المتكلمون ومن مزاياه إيطال التمييز بين لغة ولهجة.

[5] أنظر كتابه:

J. Fishman, Sociolinguistique, Labor-Nathan, 1971.

[6] J.B.Marcellesi, Introduction à la sociolinguistique : la linguistique sociale, Larousse, Paris, 1974.

[7] أنظر لمزيد من المعلومات الفصل الأخير من كتاب فيسمان المذكور وكذا:

L.J.Calvet, La guerre des langues, Paris: Payot, 1987.

[8] أنظر كتابه المذكور في الهامش 3.

وهكذا باعتماد العينات يمكن الوقوف على التغيرات والتباينات اللغوية بحسب السن والمنزلة الاجتماعية(statut) والجنس والمستوى الثقافي للأفراد، وفق طبيعة التخاطب الحاصل: حميمى، عادى، رسمى...[9]

وهنا يكمن الاختلاف البين بين اللسانيات واللسانيات الاجتماعية، فاللسانيات تنظر إلى الألسنة بوصفها بنى مجردة يحكمها الانتظام في حين أن اللسانيات الاجتماعية تعنى بالتباين(Variation) الذي يتجلى في الاستعمالات اللغوية المختلفة.

## 2. التعددية اللسانية في الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة

### 1.2. بداية الاهتمام بقضايا الاحتكاك اللغوي

عندما تستقري تاريخ الأبحاث التي عنت بظاهرة التعددية اللغوية، تستوقفنا فيما نرى أبحاث فرجسون (Fergusson) الذي شحذ مفهوم الثنائية اللغوية (diglossie) في نهاية الخمسينيات، ويعني به تعايش تنوعين لغويين في صلب الجماعة الواحدة، وقد أطلق على أحدهما صفة "التنوع الرفيع" (variété haute) أو(high variety)، أما الثاني فيسميه ب "التنوع الوضيع"( low variety) أو (basse variété). وقد بنى تصوره هذا بعد إعمال النظر في بعض الأوضاع اللغوية التي تسم بعض البلدان كالبلدان العربية حيث تتعايش العربية الدارجة مع الفصحى واليونان حيث تتعايش اللغة الإغريقية العامية (demotiki) والإغريقية الصافية (katharessouva) [10].

وتتميز الأوضاع هذه القائمة على الثنائية اللغوية ببعض السمات من بينها:

أ ـــ أولاهما التوزيع الوظيفي: فالتنوع الرفيع يستخدم في المسجد والآداب والخطب الرسمية والجامعة والمدرسة الخ. في حين يستخدم التنوع الوضيع في الأحاديث العادية اليومية والأدب الشعبي الخ.

ب ـــ السمة الثانية تكمن في أن التنوع الرفيع يحظى بصيت اجتماعي على عكس التنوع الوضيع الذي هو موضع استهجان.

ج ـــ السمة الثالثة قوامها أن التنوع الرفيع يسخر لإنتاج أدب معترف به ومحط إعجاب.

د ـــ التنوع الوضيع يكتسب بشكل طبيعي إذ هو اللغة الأولى التي يكتسبها الناطقون، في حين أن التنوع الرفيع لا يكتسب إلا في المدرسة.

هـــ ـــ يرى فرجسون بأن هذه الحالة اللغوية تمتاز بالاستقرار.

و ـــ يتصف التنوع الرفيع بكونه مقعدا (خاضع لقواعد ونظام كتابة)، على خلاف التنوع الوضيع.

---

9 أنظر:
J.Fishman," La sociolinguistique et les problèmes linguistiques des pays en voie de développement", in Revue Intern. Des Sciences Sociales, n°2, 1968, p.247.

10 أنظر:
C. Fergusson, Diglossia, Word, 1959.

غير أن نظرية فرجسون هذه قد تعرضت للنقد، من ذلك حجبها للعديد من الحقائق. فهي تتجاهل الديناميكية والحركية الاجتماعية وما قد يترتب عنها على السلوكات اللغوية نتيجة الصراع الذي يحصل بين التنوعات اللغوية، كما تتجاهل الاحتكاكات التي تحصل بينها من حيث تبادل التأثير، فضلا عن أنها لا تلقي بالا لوجود تنوعات أخرى قد تسكن التنوعين اللذين بنى عليهما مفهوم الثنائية اللغوية، كما هو الحال في الجزائر حيث تتعايش تنوعات لغوية عديدة من عربية دارجة و عربية فصحى و أمازيغية وفرنسية.

إن الاستقرار الذي يذهب إليه فرجسون تدحضه المشاهدة العينية للأوضاع اللغوية، فالحالة اللغوية قد تنقلب رأسا على عقب. يقول لويس جان كالفي في هذا الباب:

"إن حالة اليونان التي اعتمدها فرجسون مثالا ونموذجا لبناء نظريته قد تغيرت تماما بعد ثلاثين سنة: ذلك أن التنوع" الوضيع "أي اليونانية الدارجة الشعبية قد أصبحت اليوم اللغة الرسمية، في حين صارت اللغة اليونانية الرفيعة القديمة في عداد اللغات الميتة".[11]

أما فيما يتعلق بالتوزيع الوظيفي للتنوّعين (répartition fonctionnelle) فهو الآخر يدحضه الواقع الفعلي في للاستعمالات اللغوية، إذ دلت الأبحاث اللسانية الاجتماعية الحديثة أن التنوعات اللغوية المتعايشة قد تتداخل وتتعاقب وتتمازج، ومعنى هذا أن التخصيص الذي ذهب إليه فرجسون غير مطابق للواقع مما أدّى بأحد الباحثين وهو (Félix Prudent)[12] إلى القول بأنه يتعين علينا التساؤل ما إذا كان الأمر يتعلق بالأحرى بمجال من الاستمرار (continuum) بين التنوعات اللغوية ومن ثم العدول عن مفهوم الثنائية اللغوية.

وقد جاراه في هذا العديد من الدارسين من بينهم د. خولة طالب الإبراهيمى التي عنيت بوصف الواقع اللغوي الاجتماعي الجزائري، وقد خلصت إلي ما يلي:

"بامكاننا القول بأن الحواجز بين العربية الفصحى والدارجة ليست حدودا فاصلة مانعة، إذ تتمازجان وتتداخلان فيما بينهما من حين إلي آخر ..." [13].

**2.2 ـ التوجه الجديد للأبحاث:** دراسة ظاهرة التعاقب اللغوي أو (Le code – switching) أو (l'alternance codique).

بعد هذا، اتجه الاهتمام إلي السلوكات الفعلية وذلك بالنظر في ظاهرة التعاقب اللغوي أو تمازج التنوعات اللغوية في المشافهة. وتعرف هذه الظاهرة بأنها "تقوم على تجاور مقاطع لغوية تنتمي إلى تنوع بعينه مع مقاطع تنتمي إلى تنوع لغوي آخر أو عدة تنوعات لغوية أخرى". [14]

وهذه الظاهرة تلاحظ خاصة في الأوضاع الموسومة بالتعدد اللغوي.أما عن أسباب ودواعي هذه الطريقة في الكلام ـ التي يستهجنها بعض الناس ـ فيردها أحد الدارسين ألا وهو

---

[11] L.J. Calvet, Sociolinguistique, Paris: PUF, 1993, p.45.

[12] F.Prudent, " Diglossie et interlecte" , in Langages, n°61, 1988, pp.24 -25.

[13] K.Taleb-Ibrahimi, Les Algériens et leur(s) langue(s), Alger: Dar El-Hikma, p.55.

[14] المرجع السابق، ص55.

ج. قمبرس (J.Gumperz) إلى أن المتكلم يستعمل الذخيرة أو الرصيد اللغوي ( répertoirc verbal) الذي هو في حوزته من أجل بلوغ أكبر مردودية تبليغية ممكنة، بل ذهب إلي أبعد من هذا إذ يعدها استراتيجية خطابية (stratégic discursive) لا تتم دائما عن عجز في لغة من اللغات.

### 1.2.2. أنواع التعاقبات اللغوية

يميز قمبرس بين التعاقب اللغوي الحالي (situationnel code- switching) والتعاقب اللغوي الحواري (conversationnel code-switching). يختص النوع الأول ببعض الأنشطة في حين أن الثاني يحدث بشكل آلي غير واع دون أن يحصل تغير في المتخاطبين.

غير أن هذا التقسيم تعرض للنقد، من ذلك أنه غير ذي دلالة فضلا عن أنه من الصعب الإحاطة به عمليا لأنه يستلزم معرفة دقيقة بالقواعد الضمنية التي تنظّم المجتمع المدروس، كما يتطلب دراية بدواعي المتكلمين و أغراضهم.

لهذا يؤثر بعض الدارسين الحديث عن أنواع عديدة لمثل هذه التعاقبات بناء على الوظائف التي تحققها.ومن جملة الوظائف هذه، نذكر على سبيل المثال:

ـــ الوظيفة الاستشهادية (fonction de citation): أي الانتقال من لغة إلي أخرى قد يحصل بغرض الاستشهاد بقول ما مصوغ في تنوع لغوي آخر.

ـــ وظيفة تخصيص المرسل إليه (spécification du destinataire): أي أن الانتقال من تنوع إلي آخر يستدعيه وجود أو ظهور مخاطب بعينه (مثلا قد يجري التخاطب بين أفراد بالقبائلية ولكن قد يتغير الأمر عند ظهور فرد لا يحسن القبائلية، فيلتجأ إلي العربية مثلا).

ـــ الوظيفة المجازية (fonction métaphoriquc) والمقصود بها أن الانتقال إلى تنوع آخر يتم بغرض إحداث أثر معين (مثلا في أحد خطب الرئيس بومدين حصل أن انتقل من الفصحى إلي العامية لإحداث هذا الأثر. قال عند اتخاذ قرار تأميم البترول: "...العرس عرسنا وحنا نتفرجو من برا...").

ـــ الوظيفة الميتالسانية (fonction métalinguistiquc): أي الانتقال يحصل عندما نروم توضيح أو تحديد شيء قد يكون مدعاة للبس أو الغموض: كثيرا ما يلتجئ المعلمون إلى استخدام العامية لشرح أمر ما.

هذه أمثلة عن أنواع التعاقبات اللغوية التي قد تحصل أثناء التخاطب، وبالطبع يمكن أن تتعدد وتتنوع بالنظر للغايات المراد تحقيقها. هذا ولا بد من الإشارة إلى أن هناك مقاربة أخرى تعتمد في دراسة هذه الظاهرة و تتركز على الوجه اللساني أساسا و يتعلق الأمر بما يسميه بعض الدارسين بـــ "نحو التعاقب اللغوي" (grammaire de l'alternance codique) والمقصود به حصر الأنماط التركيبية التي تميز مختلف أنواع التعاقب اللغوي.

نخلص مما تقدم إلى القول بأن هذه المقاربة لظواهر التعددية اللغوية أكثر موضوعية وأكثر حصافة لكونها تنظر إلى الاستعمالات اللغوية نظرة ديناميكية وواقعية، متحاشية التعميم الذي يخلّ في الغالب الأعم بالظواهر المدروسة.

## المصادر والمراجع

### باللغة العربيّة

هدسون، ر.، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة د. محمد عبد الغني عياد، ط 1؛ بغداد، 1987.

### باللغة الأجنبيّة

**Calvet, L.J.**, La guerre des langues, Paris: Payot, 1987

——, Sociolinguistique, Paris: PUF, 1993.

**Fergusson, C.**, Diglossia, Word, 1959

**Fishman, J.**, Sociolinguistique, Labor-Nathan, 1971

——, "La sociolinguistique et les problèmes linguistiques des pays en voie de. développement", in Revue Intern. Des Sciences Sociales, n° 2, 1968.

**Labov,W.**, Sociolinguistique, trad. Française, Paris:Ed. de Minuit, 1976

**Marcelles, J.B.,** Introduction à la sociolinguistique: la linguistique sociale, Paris: Larousse, 1974

**Prudent, F.,** "Diglossie et interlecte" , in Langages, n°61, 1988.

**Taleb-Ibrahimi,K.,** Les Algériens et leur(s)langue(s),Alger : Dar El-Hikma.